العرب
الأربعاء 2020/04/01
السنة 42 العدد 11664

«حزب الله» وإلغاء السنّة في لبنان

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

لا يمكن حكم لبنان عن طريق حكومة تنفّذ ما يطلبه "حزب اللّه" وتضم ممثلين عن الثنائي الشيعي وعن "التيّار الوطني الحر". مثل هذا التفكير الأعوج سيأخذ البلد إلى الهاوية، لا لشيء لأنّ كل ما يجري حاليا يصبّ في اتجاه واحد. إنّه اتجاه إلغاء السنّة. بكلام أوضح، هناك محاولة جدّية يبذلها "حزب الله" حاليا لفرض أمر واقع جديد كان أفضل تعبير عنه الخطاب الأخير لحسن نصرالله.

منذ اغتيال رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005 وانتخابات مجلس النوّاب في السادس من أيّار – مايو 2018، نفّذ «حزب الله» المحاولة بعد الأخرى من أجل إخضاع السنّة في لبنان

في هذا الخطاب، أكد الأمين العام لـ"حزب الله" أنّه الآمر والناهي في لبنان، وأنّ على الجميع التزام توجيهاته، خصوصا في ما يتعلق بكيفية عمل النظام المصرفي الذي يفترض أن يكون في تصرّف رغبات إيران وأدواتها في المنطقة.

ما يمرّ فيه لبنان حاليا، بما في ذلك الخلافات بين أفراد الفريق الواحد داخل الحكومة في شأن التعيينات الإدارية، يصبّ في رغبة بإلغاء السنّة لا أكثر.

هذا ما حذّر منه بطريقة غير مباشرة البيان الصادر عن رؤساء الحكومة السابقين سعد الحريري ونجيب ميقاتي وفؤاد السنيورة وتمّام سلام. ممّا جاء في البيان:

"في الوقت الذي يعاني فيه لبنان أزمات سياسية واقتصادية ومالية وإدارية وقطاعية مستفحلة، تأتي جائحة الكورونا الكونية الفتاكة بالإنسان ومنجزاته وموارده وأمنه واستقراره لتزيد من عمق أزمات لبنان حدة وتعقيدا، يرى اللبنانيون كيف أن حكومتهم تتجه إلى القيام بتعيينات يُشتمُّ منها الرغبة في السيطرة على المواقع الإدارية والمالية والنقدية للدولة اللبنانية بغرض الإطباق على الإدارة الحكومية من دون الالتزام بقواعد الكفاءة والجدارة، وكذلك متغافلة عن المطالب الإصلاحية لشابات وشباب الانتفاضة (الانتفاضة الشعبية التي بدأت في 17 تشرين الأوّل – أكتوبر 2019")".

ما لم يقله الحريري وميقاتي والسنيورة وسلام في بيانهم أنّ حكومة حسّان دياب تستهدف السنّة. مطلوب الإتيان بموظفين سنّة يضعون أنفسهم في خدمة "حزب الله" الذي يصوّب على النظام المصرفي اللبناني، الذي من دونه لا اقتصاد في لبنان، أي لا وجود للبنان نفسه. ما يحصل حاليا هو تتمّة لتشكيل حكومة برئاسة حسّان دياب الذي لا يمتلك أي حيثية من أيّ نوع في طائفته. هذا حلم قديم راود "حزب الله" الذي يمثّل إيران في لبنان، والذي وجد في "التيّار الوطني الحر" غطاء مسيحيا لتبرير عدائه لكلّ ما يمكن أن يمتّ بصلة من قريب أو بعيد إلى وضع طبيعي يمكّن لبنان من تجاوز مرحلة الانهيار التي يعاني منها. لذلك، كان تركيز حسن نصرالله على النظام المصرفي وعلى العلاقات العربية للبنان، خصوصا علاقته بالمملكة العربية السعودية، وعلى المجتمع الدولي الذي يستطيع مد يد المساعدة للبلد عن طريق مؤسسات دولية مثل صندوق النقد...

لا يمكن عزل ما يشهده لبنان حاليا عن أمر واقع سعى "حزب الله" إلى فرضه في العام 2005، مباشرة بعد اغتيال رفيق الحريري ورفاقه، وحتّى قبل ذلك، عندما كان الاعتقاد السائد لدى الحزب والذين يقفون وراءه في دمشق وطهران أن على الجميع فهم ماذا تعنيه محاولة اغتيال الوزير الدرزي السابق والنائب الحالي مروان حمادة في أول تشرين الأوّل – أكتوبر 2004 وما تتضمّنه من رسائل في كلّ الاتجاهات. كانت هناك رسالة إلى رفيق الحريري نفسه وإلى مشروعه الذي في أساسه إعادة الحياة إلى بيروت. وكانت هناك رسالة إلى الزعيم الدرزي وليد جنبلاط الذي بدأ يضيق خلقه بنظام الوصاية السوري – الإيراني. وكانت رسالة ثالثة إلى الإعلام اللبناني الذي باشر وقتذاك بطرح مسألة الوجود السوري في لبنان خصوصا في ضوء صدور القرار الرقم 1559 عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. فمروان حمادة، كان خال جبران تويني صاحب جريدة "النهار".

منذ اغتيال رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005 وانتخابات مجلس النوّاب في السادس من أيّار – مايو 2018، نفّذ "حزب الله" المحاولة بعد الأخرى من أجل إخضاع السنّة في لبنان. هؤلاء السنّة الذين رفعوا للمرّة الأولى في تاريخ لبنان شعار "لبنان أوّلا" وأخرجوا الجيش السوري من لبنان وأخرجوا سمير جعجع من السجن وأعادوا ميشال عون من باريس. فشل "حزب الله" في الحصول على أكثرية في انتخابات 2005 ومنعه سعد الحريري من تحقيق حلمه في السيطرة على مجلس النوّاب في العام 2009. لم يمنعه ذلك من استخدام سلاحه لتعطيل الحياة السياسية في البلد عن طريق منع وصول رجل لائق، مثل الراحل نسيب لحود، إلى موقع رئيس الجمهورية.

لماذا تبدو إيران مستعجلة في السنة 2020 من أجل تحقيق ما لم تتمكن من تحقيقه في مرحلة ما بعد اغتيال رفيق الحريري؟ هل ترى أن الفرصة المتاحة أمامها لن تتوافر مجددا في ضوء ثلاثة انتصارات كبيرة حققتها ابتداء من 31 تشرين الأوّل – أكتوبر 2016؟

في ذلك اليوم، حقّق "حزب الله" انتصاره الأوّل عندما انتخب ميشال عون رئيسا للجمهورية. كان عون مرشّح "حزب الله" الذي رفض أن يكون هناك بديل منه في قصر بعبدا. اختبره طوال عشر سنوات وتوصّل إلى نتيجة أنّ الحقد على رفيق الحريري وعلى كلّ ما هو سنّي في لبنان جزء أساسي من تركيبة أيّ شخص ينتمي إلى "التيّار الوطني الحر".

كان الانتصار الثاني في انتخابات مجلس النواب يوم السادس من أيّار – مايو 2018. بات لـ"حزب الله" أكثرية في هذا المجلس. استخدم الأكثرية لتحقيق انتصار ثالث. يتمثّل هذا الانتصار في فرض حسّان دياب رئيسا لحكومة لا وجود فيها سوى لموالين للحزب... مع بعض الاستثناءات القليلة جدّا.

على الرغم من أن الزمن زمن كورونا، وعلى الرغم من أنّ على لبنان التفكير مليّا في كيفية إعادة مدّ الجسور مع العرب القادرين ومع المجتمع الدولي، لا يزال "حزب الله" مستعجلا. لديه فرصة لا تعوّض للقضاء على لبنان وإقامة توازنات من نوع جديد فيه. لم يسأل الحزب ومن خلفه إيران، سؤالا واحدا في غاية الأهمّية: هل في الإمكان إعادة تركيب لبنان من دون السنّة؟ الأكيد أن ذلك ليس ممكنا، خصوصا إذا أخذنا في الاعتبار حجم الطائفة وانتشارها في كلّ لبنان وطبيعة هذا الانتشار.

لكنّ مثل هذا السؤال لا يعود ذا شأن بالنسبة إلى حزب لا يرى في لبنان سوى ورقة إيرانية، ولا يجد في نشر البؤس والتخلّف سوى وسيلة لممارسة مزيد من الضغط على كل لبناني بغض النظر عن طائفته ومذهبه، بما في ذلك على شيعة لبنان أنفسهم.

لن يتعلّم النظام الإيراني شيئا من درس كورونا

فاروق يوسف
كاتب عراقي

رفضت إيران العرض الأميركي لمساعدتها في مواجهة وباء كورونا مدعية أن العرض "الخبيث" ليس سوى لعب على الحبال، وهو استمرار للمؤامرة التي تهدف إلى النيل من صمود الشعب الإيراني وثورته وجبهة المقاومة.

في مقابل ذلك العرض تقدم أحد رموز النظام الإيراني بعرض تقوم من خلاله إيران بمد يد المساعدة للشعب الأميركي بعد أن أثبتت الأجهزة الحكومية الأميركية عجزها عن الحدّ من انتشار وتأثير الفايروس.

لعبة عبثية أخرى يمزج النظام الإيراني من خلالها ما هو سياسي بما هو إنساني. ذلك لأنه يراهن على أن ازدياد أعداد الموتى بتأثير الوباء سيدفع بالمجتمع الدولي إلى الضغط على الولايات المتحدة لرفع العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران. تلك عملية ابتزاز على درجة كبيرة من السذاجة والغباء.

فالولايات المتحدة التي عرضت مساعدة إيران لأسباب إنسانية، فرضت في الوقت نفسه عقوبات جديدة على مؤسسات وأشخاص لهم صلة بالنظام الإيراني. ذلك فصل لا ترغب القيادة الإيرانية في التوقف أمامه وتأمله.

ما يحدث في إيران على مستوى تداعيات انتشار الوباء يحدث في كل مكان على سطح الكرة الأرضية. ما من بلد استثنى الفايروس شعبه من هجومه الشرس، بل إن الولايات المتحدة نفسها صارت تتصدر قائمة الدول من حيث عدد الإصابات بالمرض الغامض.

لذلك فإن المجتمع الدولي الذي تأمل إيران في أن يقوم بالضغط على الولايات المتحدة من أجل رفع العقوبات عنها لا يمكنه في هذه اللحظة الالتفات إلى مسألة سياسية، غاية في التعقيد، لم يكن متحمسا للتدخل من أجل حلها في الظروف الطبيعية. فكيف به اليوم وهو يواجه أزمة عالمية تتعلق بالمصير البشري الذي اهتزت القناعات في صلابته كما لم تهتز في أي وقت عصيب سابق. إيران تلعب وحدها في منطقة لا تقع عليها الأبصار.

العناد الإيراني الذي يقف وراء طرد منظمة أطباء بلا حدود باعتبار أعضائها جواسيس لا يُعدّ مؤشرا على الشعور بالمسؤولية. ما صار واضحا أن إيران لا ترغب في أن يطّلع العالم على حجم خسائرها البشرية، وهي عاجزة في ظل الضوابط والشعارات العقائدية عن التعرف على حقيقة ما يجري في العالم من حولها ومن ثم التعريف بما يحدث داخلها بطريقة شفافة.

هناك سوء فهم يدفع بالنظام الإيراني إلى اعتبار معركة كورونا جزءا من الحرب القائمة بينه وبين العالم. وهو ما يمكن أن يقود إلى استنتاجات لا تدعو إلى التفاؤل. ذلك لأن الوباء سيفتك بالإيرانيين إذا بقي النظام مصرا على البقاء خارج المنظومة الصحية الدولية.

التعامل مع وباء كورونا باعتباره ظاهرة سياسية ستدفع الشعوب الإيرانية ثمنه الباهظ بما لا يمكن تعويضه حتى لو تم في وقت لاحق رفع العقوبات الأميركية وهو أمر من الصعب توقعه.

كان على حكام إيران أن يفهموا في وقت مبكر أن السياسة ليست كل شيء. وإذا كانت لديهم حنكة سياسية، وهو واحد من أوهامهم، فقد كان يجب عليهم أن يركنوا خلافاتهم السياسية مع العالم جانبا مندفعين إلى استغلال الكارثة من أجل أن تستعيد إيران موقعها في العالم.

التعامل مع وباء كورونا باعتباره ظاهرة سياسية ستدفع الشعوب الإيرانية ثمنه الباهظ بما لا يمكن تعويضه حتى لو تم لاحقا رفع العقوبات الأميركية وهو أمر يصعب توقعه

أما الاستخفاف بأرواح الإيرانيين واعتبارها بضاعة في مزاد سياسي دولي فهي محاولة رخيصة وغبية ستزيد من متاعب النظام الإيراني باعتباره عدوا للحياة البشرية وداعية موت مجاني وباحثا عن المنافع التي يتوقع أن يجنيها من وراء المسيرات الجنائزية.

سيكون واضحا بالنسبة للمجتمع الدولي أن ذلك النظام تخلى عن حماية شعبه، وفضل أن يقدم مصالحه السياسية على مصير ذلك الشعب. ذلك ما لا يُنسى في ظل ما يشهده العالم من عودة إلى قيم التكافل والتعاون العابرة للعقائد.

كان هناك أطباء من كوبا والصين الشيوعيتين في مختلف أنحاء العالم الغربي، فيما فتحت دول ثرية أبواب الهجرة لأطباء قادمين من مختلف أنحاء العالم. وهو ما لم تتعلم منه إيران شيئا.

ترامب يسقط في فخ كورونا

محمد علي العوني
صحافي تونسي

حنكة رجل الدولة تظهر عند المحن، فالأزمات تشكل الاختبار الحقيقي لبروز مهارات القادة السياسيين القادرين على احتواء الموقف وتخفيف الخسائر بمعالجة عقلانية ونظرة استشرافية لمسار الأحداث. وكانت جائحة كورونا امتحانا صعبا لكشف المعدن الحقيقي للأنظمة السياسية.

يبدو أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب قد سقط سقوطا في اختبار أزمة تفشي فايروس كورونا في بلاده، وتعامل بنوع من الاستهتار حيال دعوات خبراء في مجال الصحة لضرورة أخذ الحيطة والحذر، وكانت النتيجة كارثية بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

فعدد المصابين بهذا الوباء في الولايات المتحدة قد تجاوز عتبة الـ160 ألف شخص، وهي حصيلة لم تسجل في الصين مهد كورونا، ولا حتى في إيطاليا التي تودّع المئات من ضحايا كوفيد- 19 كل يوم.

سقط ترامب في فخّ كورونا، فقد دفعه جشعه الاقتصادي إلى عدم فرض حجر صحّي شامل في كامل البلاد كإجراء استباقي لتفادي الكارثة. لم يستفد الرئيس الأميركي من الدرس الإيطالي، فالسلطات هناك تدفع إلى اليوم ثمن تهاونها بمدى خطورة كوفيد- 19 الكامنة في سرعة انتشاره.

شبح الانهيار يهدّد اليوم المنظومة الصحية الأميركية، فتطوّرها لم يشفع لها أمام عدد المصابين الذي قدر بالآلاف يتوافدون بشكل يومي على المستشفيات، ويكمن التحدي في القدرة على الاستجابة واستيعاب هذا العدد الهائل من المصابين في وقت وجيز.

فقد سجلت الولايات المتحدة 20 ألف حالة إصابة جديدة خلال 24 ساعة فقط، وهو ما سلّط ضغوطا كبيرة على الهياكل الصحية للدولة واستنفد مخزونها من المعدات الطبية كما سيضع الأطباء أمام اختبار قاس باختيار من سيعيش ومن سيموت.

هذا التعاطي السطحي مع أزمة كورونا، وضع ترامب أمام موجة شرسة من الانتقادات حمّلت ساكن البيت الأبيض المسؤولية كاملة لما آلت إليه الأوضاع، فقد علّق بيل غيتس على الأزمة قائلا "لقد فوتت الولايات المتحدة فرصة السيطرة على كورونا".

قصر نظر الرئيس الأميركي وسوء تقديره للموقف، جعل من هذه الأزمة لحظة فارقة، ستغيّر مسار انتخابات الرئاسة المقرر إجراؤها في شهر نوفمبر من هذا العام، كما ستحدّد ملامح أي مصير سياسي ينتظره.

مما لاشك فيه أن جائحة كورونا ستوجه ضربة موجعة إلى حظوظ الرئيس الأميركي كمرشح جمهوري في انتخابات الرئاسة المقرّر إجراؤها في شهر نوفمبر من هذا العام. فتعاطي الإدارة الأميركية مع كورونا بسياسة الأيدي المرتعشة سيوسّع من دائرة المنتقدين والمعارضين لترامب حتى من بين أنصار الحزب الجمهوري، مما يفقده الزخم الانتخابي.

التعاطي السطحي مع أزمة كورونا، وضع ترامب أمام موجة شرسة من الانتقادات حمّلت ساكن البيت الأبيض المسؤولية كاملة لما آلت إليه الأوضاع

وبالتالي فإن نجاح الدولة في هذا المضمار سيُحسب لصالح النظام الحاكم، والفشل سيتحمل عواقبه النظام ذاته. وبإسقاط ذلك على النموذج الأميركي سيدفع ترامب الثمن باهظا لتخاذله وربما سيضع ذلك حدّا لمسيرته السياسية المفتقرة إلى عنصر الخبرة الواجب توفره في القائد السياسي.

فالرئيس الأميركي رجل اقتصاد بامتياز يفقه عالم المال والأعمال، لكنه حديث العهد بدواليب السياسة ويفتقد ميزة رجل السياسة المحنّك الذي يرتكز على عامل الخبرة للتعاطي مع مثل هذه الأزمات بعقلانية وبنظرة استباقية.

أدبيات إدارة الأزمات على مستوى الدول باتت علما يُدرّس في الجامعات، فلا يصحّ العمل في هذا المضمار لمن لا يمتلك الخبرة، ولا يفقه شيئا عن التجارب والنظريات والمدارس السياسية.

فالجهل بالسياسة يُترجم بقرارات خاطئة قد يكون بعضها خطيرا يصل إلى درجة تهديد المصير في ظروف استثنائية كالتي تمر بها الولايات المتحدة اليوم.

أظهرت جائحة كورونا البون الشاسع بين دول تحركت في الوقت المناسب ونجحت في احتواء الوضع بأخف الأضرار الممكنة مثل الصين وكوريا الجنوبية، وبين دول أساءت تقدير الموقف وتحركت في الوقت الضائع كالولايات المتحدة.